رفع محمود العثماني

حديث الدار

حديث الدار - العدد 26، 2008
دار الآثار الإسلامية
متحف الكويت الوطني
دولة الكويت

دار الآثار الإسلامية
Dar al-Athar al-Islamiyyah
The al-Sabah Collection

Hadeeth ad-Dar Volume 26, 2008

رفع محمود العثماني

مجلة دار الآثار الإسلامية - العدد ٢٦

دار الآثار الإسلامية
متحف الكويت الوطني
ص. ب: 23996، الصفاة، 13100، الكويت
هاتف: 0965 240 965+
فاكس: 0088 242 965+
البريد الإلكتروني: publications@darmuseum.org.kw

«حديث الدار» مجلة فصلية تصدر عن دار الآثار الإسلامية
المقالات والآراء ووجهات النظر الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار.
انتجت بواسطة وحدة النشر في دار الآثار الإسلامية
الاشتراكات المجانية متوافرة بناء على طلبات خطية.
طبعت في دولة الكويت

رفع محمود العثماني

المحتويـــــات

حديث الدار

تسعى دورية «حديث الدار» التي تصدر عن دار الآثار الإسلامية، إلى تعريف القارئ بالثقافة الإسلامية بما تتميز به من فن راق وذوق رفيع وجمال أخاذ يتجلى في مجموعة الصباح الواسعة والشاملة لشتى أنماط وأنواع الفن الإسلامي. كما تهدف إلى إشراك جمهور القراء والمهتمين بالفن الإسلامي بمختلف الأنشطة الفكرية والفنية المتعلقة بهذه المجموعة.

وتضم مجموعة الصباح مقتنيات يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من صدر الإسلام وحتى القرن الثاني عشر الهجري. وقد جرى ترتيبها وتصنيفها تبعاً للفترة التاريخية التي تعود إليها والموقع الجغرافي الذي تنتمي إليه.

أما مكتبة الدار فهي تضم مراجع ومنشورات وكتب ذات صلة وثيقة بالمجموعة.

رعت دار الآثار الإسلامية عمليات التنقيب الأثرية في مدينة البهنسا بصعيد مصر والتي تعود إلى العصر الفاطمي. كما تقوم بحفريات في منطقة راية بطور سيناء في مصر تقفياً لطريق التوابل القديم.

وتقوم دار الآثار الإسلامية بصفة دائمة باستضافة باحثين وعلماء عالميين وذوي تخصصات عالية لإلقاء سلسلة من المحاضرات حول مختلف مواضيع الفن الإسلامي والآثار والهندسة المعمارية وغيرها من الموضوعات التي تستقطب اهتمام المؤرخين وغيرهم من المتخصصين.

هذا الإصدار برعاية:

بنك برقان
BURGAN BANK
أنت دافعنا
driven by you

٤ فبراير ٢٠٠٨ — ٢
المحيط الهندي في خرائط وأدبيات العصور الوسطى
د. مارينا تولماتشيفا

٢٨ يناير ٢٠٠٨ — ٨
جمع التحف للمتعة والتفاخر
د. اجنس ستلفريد

٢١ يناير ٢٠٠٧ — ١٢
خطوط الملاحة البحرية للتجارة العالمية
البروفسور فاليريا فيوراني بياسنتيني

١٩ نوفمبر ٢٠٠٧ — ١٧
الموسيقى تغسل هموم البحر: تقاليد الغناء الجماعي في الكويت
د. ليزا أوركفيتش

٥ نوفمبر ٢٠٠٧ — ٢٢
محاكمة ابن خلدون
أو ابن خلدون ما له وما عليه
د. جمعة شيخة

٢١ مايو ٢٠٠٦ — ٢٨
حول بعض ميزات الإرث العلمي العربي ودروسه
البروفسور نيقولا فارس

٢٤ أبريل ٢٠٠٦ — ٣١
تاريخ منطقة الخليج من واقع الأرشيف العثماني
د. زكريا قورشون

٢٨ فبراير ٢٠٠٥ — ٣٨
موقف الدين والثقافة
من التصوير في العالم الإسلامي
د. سيلفيا نيف

٣١ يناير ٢٠٠٥ — ٤٢
مراعاة حركة الشمس
في التصميم المعماري
د. عدنان العنزي

٢٧ سبتمبر ٢٠٠٤ — ٤٦
جرار خزفية مزججة
من سوريا المملوكية
البروفسور غيزا غهرفاري

١٧ مايو ٢٠٠٤ — ٤٩
التأليف في الأنساب: الظاهرة والأسباب
السيد. فايز بن موسى البدراني الحربي

٣١ مارس ٢٠٠٣ — ٥٤
الجوهر والمظهر: نظرة أخرى إلى تصوير الأشخاص في العصر المغولي
د. غوزوامي

صورة الغلاف:
LNS 98T
قطعة من بساط مصنوع من القطن ومطرز بالحرير
تركيا، القرن الثامن عشر.
الطول: ١٩٠سم

رفع محمود العثماني

تاريخ منطقة الخليج من واقع الأرشيف العثماني

الأستاذ الدكتور: زكريا قورشون
قدمها باللغة العربية
بتاريخ: ٢٤ أبريل ٢٠٠٦

سيطرت الدولة العثمانية على بلاد العرب في القرن السادس عشر الميلادي. وكان من بين أهم أنشطتها الرئيسية، إيجاد أرشيف بتلك الحقبة، والحفاظ عليه. ويمكن اعتبار هذا الأرشيف بمثابة صيانة للتاريخ العربي إبان تلك الحقبة.

على مدى أربعة قرون، كانت أغلب الأراضي العربية الممتدة من اليمن حتى تونس ولايات تابعة للإمبراطورية العثمانية. ولذا لا ينبغي أن نتجاهل كمية الوثائق الضخمة التي كتبت عن هذه المناطق. التي كانت تعد اطرافا للدولة العثمانية صارت عواصم، ولهذا فقد كتبت او استكتبت تواريخها المحلية طبقا لوضعها اليوم كعواصم.

يجب ألا ننسى أن في تلك الولايات العربية كم هائل من الوثائق عن هذه الأنحاء، وقسم مهم من هذه الوثائق عبارة عن المكاتبات والرسائل المحلية المرسلة من العاصمة إلي هذه المناطق. ويمكن الحصول على صور هذه المكاتبات من أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في استانبول. ومع الأسف أن المؤرخين الأتراك تأخروا في الوصول إلى الوثائق المحلية واستخدامها، ولكن تظهر أمامنا مشكلة أخرى، وهي عدم وجود معلومات كافية عن حال هذه الوثائق وعاقبتها، فالأرشيف القومي المصري والأرشيف الموجود في سوريا على سبيل المثال، معروفان نسبيا من الأرشيف المركزي، ولكن لا يُعرف شيء عن الوثائق الخاصة بولاية الحجاز ومتصرفية الاحساء وخليج البصرة علي وجة الخصوص، ذلك لأن الدولة العثمانية عندما تركت إدارة هذه الأماكن تركت فيها وثائقها.

إن التاريخ السياسي الحديث لأي من الولايات العربية التي صارت اليوم عواصم، لا يرجع إلّي ما قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهذا الأمر يُظهر أن التاريخ السياسي العربي الذي تَشّكل، لا يحتوي على كل أزمنة الجغرافيا العربية. وعندما نقارن بين التاريخ العربي الحديث الذي تكون في القرن العشرين، وتاريخ العهد العثماني كله، سيظهر لنا عدم كفايته. ويمكننا القول أن العامل الأساسي والمؤثر في هذا الأمر ينبع من الابتعاد عن الوثائق العثمانية. فالوثائق الخاصة بالفترة من القرن السادس عشر حتي الربع الأول من القرن العشرين، والموجودة اليوم في استانبول تمثل الجغرافيا العربية أكثر من الوثائق الموجودة خارج استانبول.

عرف العالم العربي وخاصة في الخليج الوجود العثماني منذ الربع الأول من القرن السادس عشر، ولكن الوجود الفعلي للعثمانيين في الخليج بدأ في عصر السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤م، عندما دخلت بغداد تحت الإدارة العثمانية.

استمرت الحملة العسكرية التي قام بها القانوني على بغداد حوالي سنة كاملة، وكان لهذه الحملة سببان مهمان غير الأسباب السياسية والاقتصادية التي لن ندخل في تفاصيلها. أول هذه الأسباب هو القضاء على التهديد الذي قام به البرتغاليون الذين كانوا من أكبر الامبراطوريات البحرية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لأنه في تلك الفترة لم يكن هناك دولة إسلامية أخري تستطيع صدها. والسبب

أ. د. زكريا قورشون، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة مرمرة في اسطنبول، ويعمل حاليا أستاذا محاضرا في قسم التاريخ فيها. متخصص في التاريخ السياسي الحديث للشرق الأوسط، وعضو جمعية التاريخ التركي، ولجنة دراسة التاريخ الحربي التركي. نشر عدة كتب منها: «العلاقات العربية التركية في مفترق الطرق»، و«السيادة العثمانية في نجد والإحساء»، و«العثمانيون في مصر»، و«العثمانيون والسعوديون في الأرشيف العثماني». كما نشر عدة مقالات في مجلات مختلفة. صنف مقالة الموسوعة الإسلامية التركية حول حياة مبارك الصباح.

رفع محمود العثماني

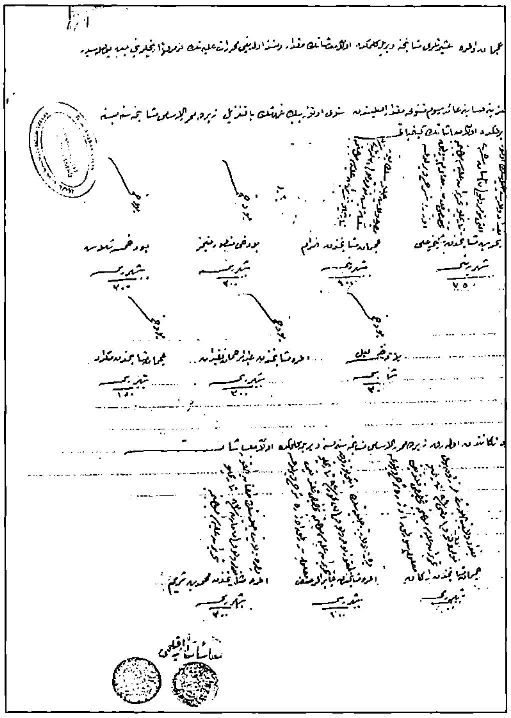

شكل ١

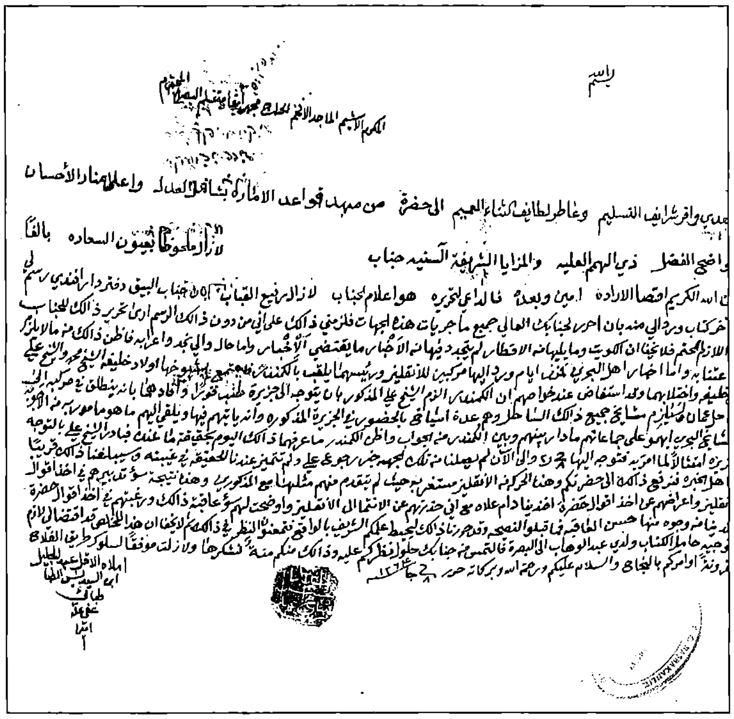

شكل ٢

الثاني هو أن إدخال مصر وسوريا تحت الحكم العثماني كان لحماية العالم الاسلامي السني من التهديد الإيراني الذي كان يشكل أكبر تهديد في هذا المجال، وكان يجب ايقافه.

حقق هذان السببان للعثمانيين الاستقرار في الأراضي العربية خلال فترة وجيزة، لا سيما أن العرب الذين عاشوا في شتات منذ زمن بعيد، وحُرموا من الدولة، وسئموا من المعارك والنزاعات بين العشائر والقبائل، قبلوا الحكم العثماني بكل سهولة، مما حقق لهم الاستقرار في ظل هذا.

عندما كان السلطان سليمان القانوني في بغداد، جاءت الوفود من البصرة وما جاورها، وأعلنوا تبعيتهم له. وقد يسّر هذا الأمر دخول البصرة تحت الحكم العثماني سنة ١٥٤٦ م، والاحساء سنة ١٥٥٠م. وباستتباب الحكم العثماني في البصرة والإحساء، تحول الخليج إلى ساحة لفعاليات الدولة العثمانية، لا سيما أن الخليج الذي أطلق عليه الأوروبيون والإيرانيون اسم (خليج فارس)، وأطلق عليه العرب اسم (الخليج العربي)، قد أطلق عليه العثمانيون اسم (خليج البصرة).

هذا الأمر لم يحقق الاستقلال للمنطقة فحسب، بل على العكس، فقد أعطى الفرصة للسكان كي يتحركوا وينتقلوا من مكان إلى آخر بسهولة. فقد هاجرت القبائل العربية إلى العراق والخليج والمناطق التي وجدوها مناسبة لهم، سواء أكانت هذه الهجرة لأسباب اقتصادية، أو بسبب الرغبة في الذهاب إلى مناطق أكثر أمناً. فليس مستغربا والأمر كذلك، أن نرى اليوم قبيلة من حدود الأناضول في أي مكان من الخليج، وبتعبير آخر أنه كان للقرون العثمانية التي مرت في سلام وأمان، تأثيرا كبيرا في تكوين الجغرافيا البشرية في العراق والخليج، فلم تمس الدولة العثمانية البنية التقليدية الخاصة بالعشائر العربية التي دخلت في النظم الأدارية، وتمكنت من تأسيس إدارة مستقرة في المنطقة لفترات طويلة. وبالطبع فإن الوثائق توفر معلومات واسعة عن المراكز الإدارية مثل الموصل وبغداد والبصرة والحجاز، ولكنها وفرت معلومات عن الحضر من السكان، أكثر من المعلومات التي وفرتها حول البدو الذين سكنوا في مساحات شاسعة. وعلى الرغم من هذا، يوجد في الأرشيف العثماني الكثير من المعلومات عن القبائل العربية ذات النفوذ الكبير، والتي شغلت مساحات شاسعة في الحجاز ونجد مثل عنزه وبني حرب وبني قحطان وعتيبة وقبائل شمر. كما يمكننا الوصول إلى الكثير من المعلومات عن فروع العشائر المهمة في خليج البصرة، مثل بني خالد وآل عجمان وآل مرة والدواسر والمناصير وبني هاجر ومطير وخذائل والبوعلي إلي آخره (شكل١).

تحولت الإدارة المركزية العثمانية التي تأسست في خليج البصرة في القرن السادس عشر، إلى إدارة قليلة الفعالية اعتبارا من منتصف القرن السابع عشر، تاركة للإدارات المحلية حرية التصرف باستقلال عن العاصمة، ومثال ذلك، حكم ولاة المماليك في بغداد، وبنى خالد في الإحساء. وهناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ذلك، لكن أهمها هو إعادة تشكل توازن القوي في العالم.

رفع محمود العثماني

بذلت الدولة العثمانية في تلك الفترة جهودا كبرى كي تظل قوية في الشرق، خاصة في خليج البصرة، وذلك لتعويض نفوذها الذي بدأت تفقده في أوروبا العثمانية. فكثفت جهودها لتأكيد وجودها الفعلي في المنطقة. وللتأكيد على هذا الواقع الفعلي سياسياً، وقعت بسبب هذه الجهود أحداث غريبة للغاية، لم تظهر قبل ذلك في خليج البصرة.

ولا جرم أن أهم هذه الأحداث كان سعي الدولة العثمانية لوقف الإنجليز الذين ظهروا في القرن التاسع عشر في المنطقة كقوة لا تواجه؛ ولهذا كان خليج البصرة في تلك الحقبة التاريخية، أي من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتي بدايات القرن العشرين، محل صراع عثماني – إنجليزي، استمر سراً وعلانية في بعض الأحيان. والغريب أن هذا الصراع كان له دور في ظهور دول الخليج الحديثة.

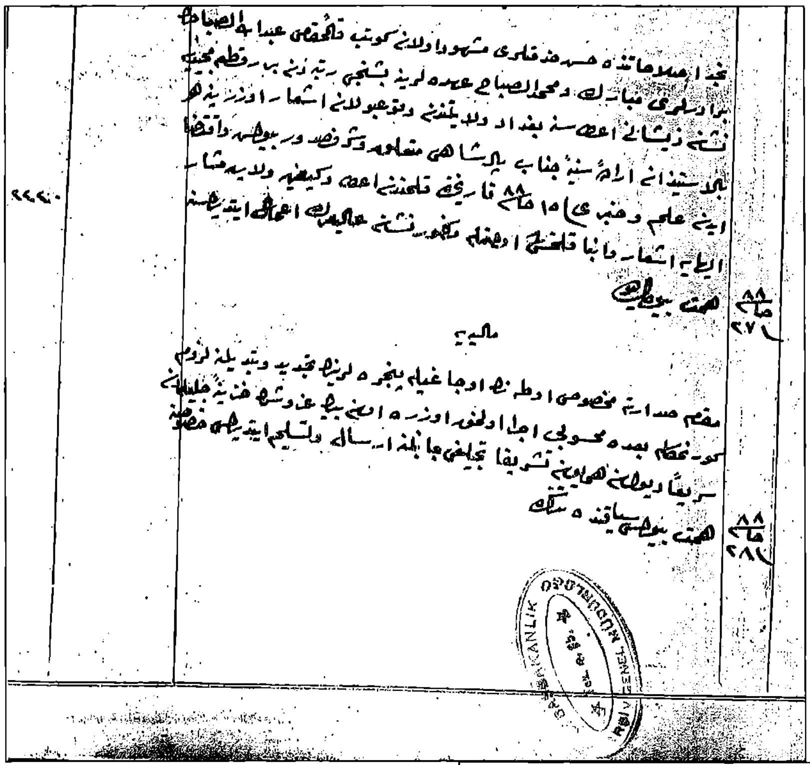

شكل ٣

ومن خلال الوثائق العثمانية، نتوقف عند بعض الأحداث التي أخلت بأمن المنطقة في القرن التاسع عشر، ودور هذه الأحداث في تحقيق الاستقرار خاصة للكويت وعائلة آل صباح. وقد ذكرت الوثائق التي ترجع إلى ما قبل القرن التاسع عشر أن الكويت كانت ميناءاً بحرياً هاماً للغاية، ولكننا سنرى الكويت من خلال وثائق القرن التاسع عشر.

لا شك أن الدولة العثمانية قد أدركت الأهمية الإستراتيجية للكويت، وعرفت أن أية قوة ستسيطر على هذه المنطقة، ستهدد البصرة، وبالتالي العراق كله. ولهذا أرسل الباب العالي الرسائل إلى متصرف البصرة وأمره بمتابعة الأحداث في المنطقة.

شكل ٤

عرف متصرف البصرة سياسات الإنجليز وتحركاتهم، من أمراء قطر والبحرين والكويت بواسطة عبد الجليل الطباطباوي (شكل٢) الذي كان واحدا من أشهر التجار في المنطقة، وأخبر استانبول بهذه الأنشطة. وهناك من يري أن عبد الجليل الطباطباوي كان جاسوسا يعمل لحساب الدولة العثمانية. فقد ذكر هذه المعلومات علي سبيل المثال، في خطابه الذي وصل إلى الباب العالي في جمادي الآخر سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٧م،

رفع محمود العثماني

«لا يخفى أن الكويت وما يليها من الأقطار، لم يتجدد فيها من الأخبار ما يقتضي الإخبار. وأما حال والي نجد وأعرابه، فأظن ذلك فيه ما لا يلزم الاعتناء به. وأما أخبار أهل البحرين، فقد ورد إليها منذ أيام مركبان للإنجليز، ورئيسهما يلقب بالكمندر. فاجتمع مع شيوخها أولاد خليفة، الشيخ محمد والشيخ علي آل خليفة، واختلا بهما. وقد استفاض عند خواصهم ان الكمندر ألزم الشيخ علي المذكور، بأن يتوجه إلى جزيرة طنب فوراً. وأفادهما بأنه ينطلق في مركبه إلي ساحل عمان، ليلزم جميع مشايخ ذلك الساحل وهم عدة أشياخ بالحضور في الجزيرة المذكورة، وأن يأتيهم فيها، ويلقي إليهم ما هو مأمور به».

ونفهم من ذلك الخطاب أن أنشطة الإنجليز لم تبدأ بعد بالكويت، وأن شيوخ الكويت مازالوا على دربهم القديم.

ولكنه ذكر في خطاب آخر جاء بعد فترة، أن القنصلية الإنجليزية في بندر بو شهر قد زادت من فعالياتها تجاه مشايخ الكويت. وفي هذه المرة حذر الباب العالي ولاية بغداد، وطلب منها إعاقة مساعي الإنجليز، حتى أنه ولأول مرة يوضع في الحسبان إرسال الجند لمنع التسلط الأجنبي على الكويت وملحقاتها. ويُفهم من المكاتبات أن مشايخ الكويت لم يرتاحوا لهذه التطورات، وأيدوا سياسات الدولة العثمانية ضد الإنجليز.

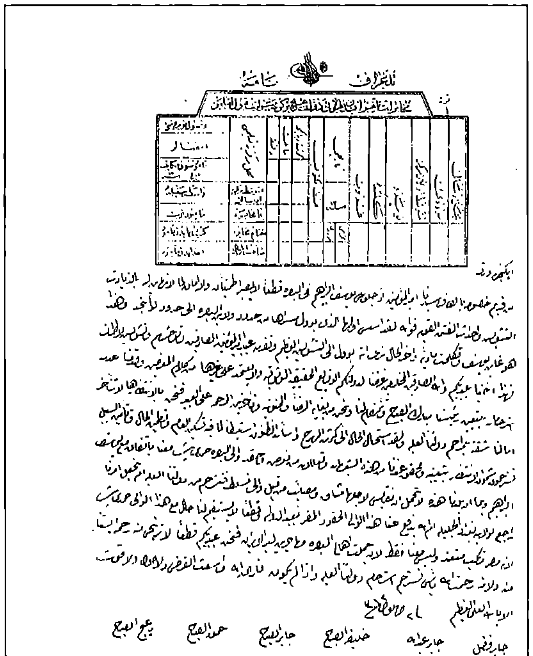

شكل ٥

وبعد هذه التطورات تولدت فكرة إدخال الكويت في التقسيمات الإدارية كقضاء تابع للدولة العثمانية.

وفي تلك الفترة، بدأ الإنجليز في عقد سلسلة من الاتفاقيات مع بعض مشايخ الخليج. وكانت الدولة العثمانية التي عرفت بأمر هذه الاتفاقيات، ترغب في الإنفراد بالسيطرة على الخليج كله. وبخلاف ذلك، اعترفت الدول الأوروبية وأعطت ضمانات بوحدة الأراضي العثمانية، طبقا لاتفاقية باريس التي عقدت بينهما سنة ١٨٥٦م. لكن هذا الأمر خلق مشكلة أخرى، وهي أي من مناطق الخليج سيُعد ضمن أراضي الدولة العثمانية؟ ولهذا السبب تعجل الإنجليز وعقدوا اتفاقيات مع بعض مشايخ المناطق الواقعة تحت نفوذ الدولة العثمانية، فاعطي الباب العالي أوامر صارمة إلى والي بغداد، وطلب منه إقناع أمير الكويت بسرعة بموضوع تحويل الكويت إلى قضاء.

في تلك الفترة حدثت حوارات بناءة إلى حدما بين أمير الكويت والموظفين العثمانيين في بغداد والبصرة. وزاد هذا الأمر من عدد سفن التجارة القادمة من الكويت إلى البصرة. وكانت هذه السفن ترفع العلم العثماني بخلاف السفن الأخرى. فقد بلغ عدد سفن نقل البضائع من الكويت إلى البصرة في عامي ١٨٦٠م و١٨٦١م، إلي مائة وثلاثين وثمانية سفينة أغلبها من السفن الكبري.

وقد حدث أمر غريب مثير للاهتمام كما فُهم من الوثائق، وهو طلب عبد الله فيصل الذي شغل منصب قائمقام نجد بعد وفاة والده، من محمد نامق باشا والي البصرة سنة ١٨٦٦م، ضم الكويت إلى نجد، مما يوضح أهمية الكويت مرة أخري، ولكن الأمر لم يتعد ذلك في عهد محمد نامق باشا، ذلك لأن عبدالله بن صباح، أمير الكويت آنذاك، خشي من أن تُكلفه الدولة بجمع الضرائب، واستثقل اقتراح تأسيس القضاء.

عُين مدحت باشا واليا على بغداد سنة ١٨٦٩م، وكان هدفه الوحيد هو إعادة النفوذ والإدارة العثمانية التي ضاعت مرة أخرى. وكان يري أن أمن الخليج هو أمن الجزيرة العربية كلها، ولذلك كان أول خطوة له بعدما شغل وظيفته، هو حل مسألة الكويت التي تركها نامق باشا معلقة. وقد أوضح هذا الأمر في التقرير الذي أرسله إلى استانبول حيث قال:

رفع محمود العثماني

«إن الأهمية الإستراتيجية للكويت كبيرة جدا، ويجب تقوية ارتباطها بالعثمانيين، فقد سيطر الإنجليز على البحرين، والآن جاء دور الإحساء والقطيف. وإذا نجحوا في هذا الأمر سيحتلون الكويت».

شكل ٦

لقد كان مدحت باشا على قناعة بأن حماية القطيف والإحساء وحتى البصرة أمر مرتبط بالعلاقات مع الكويت. فدخول الكويت تحت سيطرة أية قوة أجنبية سيهدد العراق والجزيرة العربية كلها. ولهذا قام بما قام به سلفه، وكان أول ما فعله هو إقامة علاقات طيبة مع عبد الله بن صباح، ودعوته إلى البصرة، حيث أعطي ضمانات بعدم فرض ضرائب على الكويت، وعدم التدخل بأي شكل في الإدارة القديمة، ذلك لأن الدولة العثمانية لا تهدف إلى جمع الضرائب، بل إجراء تعديلات من شانها إعاقة التدخلات الأجنبية.

وكان عبدالله بن صباح أمام خيارين، إما أن يتفق مع الإنجليز مثل بعض مشايخ الخليج الأخرين، أو يتحد مع الدولة العثمانية التي تمثل الخلافة، ويتحمل تبعات ذلك، لكنه أظهر إخلاصه، ورجح الخيار الثاني. وعُين عبدالله بن صباح في منصب القائمقام سنة ١٨٦٩م، ورفرف العلم العثماني خفاقا في سماء الكويت. وقد أعاقت هذه المساعي الإنجليز حتى العام ١٨٨٩م.

وقد عجلت هذه التطورات في شن مدحت باشا حملة عسكرية على الإحساء، وبذلك كسب دعما ماديا من عبدالله بن صباح، وقاعدة عسكرية في غاية الأهمية للحملة التي سيقوم بها. فقد كان الهدف من الحملة العسكرية واضحا ومحددا. وقد استفاد الإنجليز من النزاعات الواقعة بين آل سعود، وساعدوا سعود بن فيصل، وكان ذلك سببا في وقوع المصيبة التي أوضحها مدحت باشا من قبل، وبتعبير آخر، أن الإنجليز استفادوا من هذا الاضطراب، وظهرت احتمالات احتلال القطيف والإحساء.

هناك حقيقة يجب توضيحها، وهي أنه لو لم يدعم عبد الله بن صباح هذه الحملة لما كانت هناك فرصة لنجاحها.

وكان من المحتمل أن يُدخل الإنجليز مناطق مثل البحرين تحت حمايتهم في فترة مبكرة. وقد ذُكر موقفه هذا في الوثائق بكل تقدير وثناء، حيث شارك عبد الله بن صباح في الحملة العسكرية وبدون مقابل، ولهذا خُصص له سنويا مائة وخمسون طنا من التمر من حاصلات تمر البصرة، وسُمح له بتشغيل وإدارة بساتين النخيل الموجودة في الفاو، كما مُنح عبد الله بن صباح واخواه محمد و مبارك نيشان مجيدي من الدرجة الخامسة (شكل٣).

ذهب مدحت باشا بنفسه إلي الكويت في أواخر العام ١٨٧٠م، ليشكر عبدالله بن صباح على الخدمات التي قام بها، وليوطد العلاقات معه. وكان مدحت باشا أول والي عثماني يزور الكويت، وقد شرح زيارته للكويت كما يلي:

«إن قصبة الكويت تحتوي على عدد من خمسة آلاف إلى ستة آلاف أسرة، أرضها مرتفعة ليس بها ماء ولا بساتين ولازرع، ولكن طقسها لطيف وصحي، وهي في غاية الجمال، وبها ميناء واسع، وهي محصنة من هجمات العربان من ناحية البحر. أما جهة البر فمحصنة بعدد من القبائل والعشائر البدوية التابعة للكويت، ولذلك فسكانها يعيشون في أمان حتى الآن. وعمارتها وسكانها يزيدون يوما بعد يوم. وأكثر سكانها على المذهب الشافعي، وبها عدد قليل على المذهب الحنفي والحنبلي والمالكي. ولا يوجد بها يهود ولا مسيحيون ولا وهابيون ولا شيعة. وجميع سكانها يشتغلون بالتجارة والمهن البحرية. ويوجد فيها أكثر من ألف سفينة، تستخدم الصغيرة منها في صيد اللؤلؤ، والقيام بالأعمال المختلفة، وهذا بارسالها إلى الموانئ القريبة مثل ميناء البصرة وبندر بوشير. أما السفن الكبرى، فتستخدم في التجارة، ونقل البضائع إلي الهند وبلوخستان وزنجبار واليمن. وقضاء الكويت تابع لمتصرفية البصرة، وهي في عهدة الشيخ عبد الله الصباح، وله نائب ينظر في الامور الشرعية، ونائب للاهتمام بامور الضبطية. ولا توجد بها أي عوائد خاصة بالدولة، كما أنه لا يوجد بها موظفون غير القائمقام، مثل الضبطية والحراسة وما شابه ذلك.»

لم يكتف عبد الله بن صباح بالاشتراك في الحملة العسكرية، بل ساعد في تحقيق الاستقرار بعد الحملة العسكرية. ففي

عهد رؤف باشا، سُحبت أغلب الجند العثمانية الموجودة في الإحساء. ولهذا تجرأ محمد بن سعود علي ضم عدد من العشائر إلى صفه، والخروج على الدولة في القطيف وما بجوارها في خريف العام ١٨٧٨م، فخرج عليهم عبد الله بن صباح بألف جندي وعشرين سفينة، وأوقف هذا العصيان، وأخضع العشائر، وبدأ الاحساء يستقر في هذا التاريخ، ولهذا السبب أرسل السلطان عبد الحميد (شكل٤) خُلعة إلى عبد الله بن صباح، ومنحه رتبة الباشوية معبرا له عن سعادته.

لقد كانت الكويت أهم موقع استراتيجي لاستمرار الحكم والنفوذ العثماني في الخليج؛ ولهذا ورد ذكرها بكثرة في الوثائق العثمانية، وسنذكر بعض الامثلة على هذا:

ففي التقرير الذي أورد معلومات عن البصرة وما جاورها، تم الاقتراح بتأسيس جمرك في الكويت، و ذُكر فيه اسم شخص يدعى عبد الله بن صباح، وقد أغضب ذلك ناظر الداخلية، فعلق على التقرير قبل تقديمه إلي الصدارة بالعبارات التالية:

«إن عبد الله باشا الذي أعطاه سلطاني رتبة أمير الأمراء هو عبد الله باشا الصباح، ولقد أُعطي هذا المنصب لوقوفه ضد ثورة عربان القطيف وما جاورها التي قاموا بها ضد السلطنة السنية، ولإصلاحه خطوط التلغراف التي انقطعت، وتحقيق الاتصال بين بغداد والبصرة»

وقد احتد الوزير على قول وكيل والي البصرة في خطابة «لقد أرسلت العلم العثماني إلى الكويت»، فقال:

«إن هذا الأمر افتراء محض، فهم يعملون في خدمة الدولة، ويرفعون العلم منذ أكثر من مائة سنة، ففي عهد محمد نامق باشا، والي بغداد، أُعطي منصب قبوجي باشي إلى والد عبدالله بن صباح».

وفي نفس الوثيقة تحدث عن الكويت كما يلي:

« الزراعة في الكويت مستحيلة، فحتى مياه الشرب يجلبونها من بعيد، والكويتيون هم أصحاب السفن الذاهبة إلى الهند، وكل الاماكن الأخرى، فهم ينقلون التمر من البصرة إلى الأماكن الأخرى، فالبضائع التي ينقلونها لا تُنتج في الكويت، ولهذا السبب فإن تأسيس جمرك فيها أمر ضار من الناحية السياسية، كما أنه غير مفيد من الناحية الاقتصادية أيضا، بسبب ما سيُصرف على الموظفين. فالكويت الآن مخزن للبضائع، ومجيء الكويتيون بسفنهم إلي ميناء البصرة يحقق الرفاهية، لا للكويت بل للبصرة....». ويستمر في حديثه كما يلي:

«إن الكويت خاصة بعائلة آل صباح، ورؤساؤها هم عبد الله باشا الصباح والشيخ محمد والشيخ مبارك، ولقد مُنح الشيخ مبارك الصباح منصب الاسطبل العامر، نظراً للجهود التي بذلها لخدمة الدولة في اخضاع جاسم بن ثاني للدولة. بخلاف هذا فقد أعفي من جميع انواع الضرائب، واذا حدث هجوم من إيران لا قدر الله، ستقوم سفن الكويت بالعمل والخدمة في الاسطول العثماني».

وتعكس تلك العبارات التي نقلت بالنص نظرة عاصمة الدولة العثمانية إلى الكويت.

استمرت العلاقات الحسنة على نفس الوتيرة في عهد الشيخ محمد. فبعد موت الشيخ عبدالله أُرسل إلي الشيخ عبد الله براءة تعيينه في منصب القائمقام. وبخلاف هذا خصص للشيخ محمد من التمر كل ما خصص من قبل للشيخ عبد الله. وقد اعترض بعض الموظفين على ذلك، ولكن الأمر قد صدر بدفع كل المخصصات كما كانت في السابق بأمر من وزير المالية في مارس ١٨٩٣م.

لقد أعطى موت الشيخ محمد مبكرا، وبطريقة غير عادية، للعلاقات العثمانية – الكويتية بعدا آخر، ذلك لأن ورثة المقتول رجعوا إلى الباب العالي بواسطة والي البصرة، وشكوا الشيخ مبارك، وطلبوا عدم اعطاءه منصب القائمقام. والغريب في الأمر أن الموظفين العثمانيين صدّقوا على هذا الأمر، وطلبوا القيام بحملة عسكرية على الكويت.

وتمكن يوسف إبراهيم المقيم في البصرة من إقناع الموظفين، وخداع بعض أهالي زبير والكويت، وجعلهم يرسلون إلى استانبول برقيات وشكاوي ضد الشيخ مبارك (شكل٥). اهتم السلطان عبد الحميد بهذا الأمر اهتماما شديدا. وفي تلك الفترة فُهم ان فعاليات يوسف إبراهيم قد وجدت دعما من إيران والإنجليز.

ولم يجد يوسف إبراهيم الدعم الذي كان يرجوه من استانبول، فقام بعمل التجهيزات مع الشيخ جاسم للهجوم على الكويت. وعلى الفور أرسل السلطان عبد الحميد رسولا خاصا، وأوقف الشيخ جاسم الذي أوشك على التحرك نحو الكويت. وعقب ذلك، أخذ السلطان عبد الحميد التدابير اللازمة حتي لا يطول الخلاف داخل العائلة، وعُين الشيخ مبارك في منصب القائمقام باعتباره أكبر وأرشد أفراد العائلة، كما أعاق السلطان عبد الحميد محاولات موظفي البصرة التي بذلوها لإعطاء مزارع النخيل الموجودة في كوت الزيت لورثة الشيخ محمد دون علم من اسطنبول.

لم تمر العلاقات العثمانية الكويتية بأية أزمة حتى العام ١٨٩٩م، عندما اعتراها مد وجزر ولكنها لم تنقطع. فقد كان السلطان عبد الحميد الثاني هو الوسيط الدائم بين ابن الرشيد والشيخ مبارك. ولما أراد ابن الرشيد الهجوم على الكويت سنة ١٩٠١ - ١٩٠٢م، صدرت له أوامر قطعية بعدم القيام بهذا الأمر بحجة عدم جواز سفك دماء المسلمين. وقد أظهر الشيخ مبارك وفاقا وطاعة لسياسة السلطان عبد الحميد التي هدفت إلى توحيد العالم الإسلامي، وجعل أصدقاءه المقربين مثل الشيخ خزعل، يظهرون إخلاصهم للدولة العثمانية.

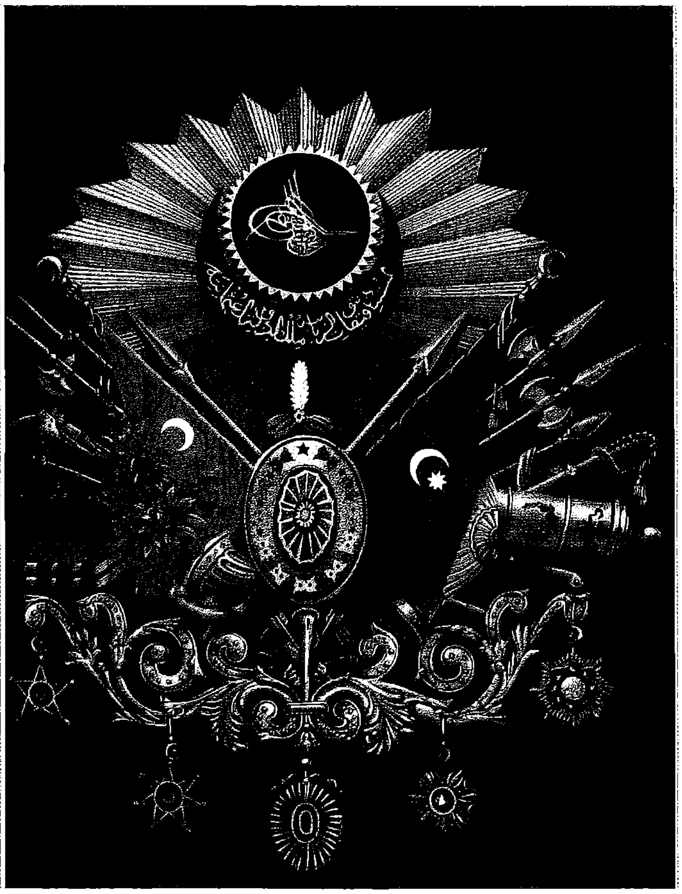

شكل ٧

قدم الشيخ مبارك مساعدات مادية في مد سكك حديد الحجاز التي نتجت عن سياسة السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الاسلامية، ولهذا منحه السلطان عبد الحميد ميدالية سكك حديد الحجاز.

بعدما استولي الايطاليون على طرابلس الغرب، نظمت الدولة العثمانية حملة دعت فيها كل أركان العالم الإسلامي لإمداد المجاهدين بالعون. فلبي هذه الدعوة الشيخ مبارك والشيخ خزعل وأرسلا مبالغ طائلة. وفي تلك الفترة منحه السلطان محمد رشاد نيشان مجيدي من الدرجة الأولي (شكل٦)، واستقبل هذا النيشان الذي أرسل إلى الكويت في ٦ فبراير من العام ١٩١١م، بحفل عظيم، شارك فيه جموع الشعب، وعلق على صدر الشيخ مبارك بن صباح في هذا الحفل الكبير.

وقد كانت للمباحثات التي جرت أثناء الاتفاقية العثمانية الإنجليزية التي أبرمت سنة ١٩١٣م، أهمية بالغة من حيث ظهور دولة الكويت الحديثة. فقد أراد الإنجليز قطع العلاقات بين الكويت والدولة العثمانية (شكل٧)، وتمسكت الدولة العثمانية بعدم تدخل الإنجليز في الكويت. وبعد مباحثات طويلة أعلنا سويا الاعتراف باستقلال الكويت، وها هي حدود الكويت التي تمت مناقشتها في مجلس المبعوثين العثماني قبل المعاهدة:

تبدأ حدود الكويت من حور الصبيا، وتمتد شمالا حتى أم القصر وصفوان وجبل صنم، ويحدها من الشمال الشرقي المناطق الواقعة تحت إدارة ولاية البصرة، والتي تمتد في دائرة عرض ٣٥ درجة حتى جبل باطن، وتمتد الحدود في الجبال حتي نقطة حفر، وتمتد من حفر الباطن في خط مستقيم حتي جبل منيف على ساحل خليج البصرة. وتمتد الحدود المذكورة من ناحية البحر من الشمال إلى الجنوب بين جبل حور الصبيا وجبل منيف، ويدخل ضمن هذه الحدود جزر ماشين والفُيلقه والفاو وأم ماردين، وكلها تحت نفوذ الشيخ مبارك الصباح، كما أن للشيخ مبارك أملاك في البصرة وهي أيضا تابعة له.

ولا جرم أن ما أوردناه ليس كل ما تم شرحه في الوثائق العثمانية، لكنني أردت اصطحابكم في رحلة ممتعة بين الوثائق العثمانية.

شكل ١ : كشف الرواتب الخاص بشيوخ عجمان والمرة

شكل ٢ : رسالة من عبد الجليل طباطباوي

شكل ٣ : فرمان من السلطان بمنح ميداليات للشيخ مبارك الصباح

شكل ٤ : رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى السلطان عبد الحميد الثاني

شكل ٥ : برقية من أهالي الكويت إلى الباب العالي، يؤيدون فيها الشيخ مبارك الصباح ويبدون استياءهم من يوسف الابراهيم

شكل ٦ : الميدالية المجيدية العثمانية المقدمة للشيخ مبارك الصباح

شكل ٧ : شعار الدولة العثمانية"

رفع محمود العثماني

Hadeeth ad-Dar

Dar al-Athar al-Islamiyyah
State of Kuwait
Volume 26, 2008

حديث الدار

دار الآثار الإسلامية
Dar al-Athar al-Islamiyyah
The al-Sabah Collection